

رؤية للإسلام الاجتماعي المعاصر في تركيا فتح الله كولن ((إنموذجاً))

م.م هبه احمد جميل
جامعة ميسان/ كلية التربية الأساسية

المقدمة

إن الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا حركة ذات أبعاد ثقافية وسياسية واجتماعية ، وهي تضم في طياتها العديد من التيارات والاتجاهات السياسية والإسلامية ، إن الهزيمة التي لحقت بالتيار الإسلامي أثر الانقلابات العسكرية في تركيا منها انقلاب عام ١٩٧١ و انقلاب عام ١٩٨٠ والتي حدثت تحت غطاء حماية النظام العلماني لم تثن قيادتها عن لعب دور فاعل في الحياة التركية ، لذا اتبعوا استراتيجية جديدة ، بمحاولة الحصول على تأثير اجتماعي أكثر من خلال محاولاتهم الرامية إلى الهيمنة السياسية ، ومن خلال تأثيرهم على الإعلام والاقتصاد ، فضلاً عن ممارستهم تأثيراً واضحاً في النظام التربوي وتأجيل مجابهة سياسية تحيطها المخاطر مع العلمانيين والعسكر .

يتركز هذا البحث على دراسة شخصية اجتماعية أخذت في مواجهة التيارات العلمانية ليس على المستوى السياسي فحسب وإنما من خلال البعد الاجتماعي والتربوي للإسلام عبر مجموعة من الأنشطة الاجتماعية ، وللوقوف على ماهية هذا التوجه الاجتماعي في تركيا . سوف نحاول على الإجابة على التساؤلات الآتية :-
من هو فتح الله كولن ؟ وهل يمثل نموذجاً للانبعث الإسلامي والاجتماعي بعيداً عن السياسة ؟ ما هي الأسس الفكرية لدى فتح الله كولن ؟

الولادة والنشأة :-

ولد فتح الله كولن عام ١٩٣٨ في قرية صغيرة في الأناضول هي قرية ((كسوروجك)) إحدى قرى قضاء ((حسن قلعه)) بمحافظة ارضروم في بيت عامر بالعلم والعلماء والفكر ، فوالده ((رامز أفندي)) كان قد ورث العلم والأدب والدين من جده ، وفي هذا البيت حفظ كولن القرآن الكريم من أمه ((رفيعة هانم)) حيث كانت تدرس القرآن لنساء القرية ، إذ استطاع كولن حفظ القرآن وهو في الرابعة من عمره^(١) .

في هذه البيئة المليئة بالمعارف والعلوم تلقى فتح الله كولن مختلف العلوم على يد العلماء والمشايخ الذي كانوا يزورون والده ومنهم الشيخ بكتاش ((صاحب الطريقة البكتاشية))^(٢) ، في تلك المدة درس كولن عنه النحو والبلاغة والفقه والأصول والعقائد والأدب ، إضافة إلى اللغة العربية والتركية فقد تعلم اللغة الفارسية من والده^(٣) . كما لم يهمل دراسة العلوم الوضعية كالفيزياء والكيمياء والفلسفة ، كما اطلع على الثقافة الغربية وأفكارها وفلسفتها ، وعلى الفلسفة الشرقية أيضاً^(٤) .

أثناء مدة دراسة تعرف على جماعة النور التي أسسها الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي^(٥) . وقد تربى فتح الله كولن بين طلاب النور وعاش معهم مدة ليست بالقصيرة ، وبالرغم من اختلاطه بطلاب النور إلا أنه يعد من الجيل الثاني ، لأنه لم يلتق سعيد النورسي مؤسس الحركة كونه التحق بالحركة بعد وفاة النورسي وهناك من يرجع انتمائه لحركة النورسيين عام ١٩٥٧ أي قبل وفاة النورسي^(٦) .

تميز كولن بالروحانية والبعد الصوفي والديني في تكوين خطابه وقد تكونت هذه نتيجة الخبرة والتجربة التي عاشها وتدرّب عليها منذ طفولته للوعظ بعد أن حفظ القرآن سريعاً ، وهو ما أعطاه خبرة دعوية وعملية في خطابه للناس ، فقد كان يتجول في القرى داغياً ومذكراً ومعلماً للناس حتى عرف بالواعظ المتجول داخل تركيا^(٧) .

مسيرة فتح الله كولن من الفكر إلى الدعوة :-

بعد أن بلغ فتح الله كولن العشرين من عمره ، عُيّن إماماً في جامع ((أوج شرفلي)) في مدينة أدرنه ، حيث قضى فيها سنتين ونصف ويبدو أنه صاحب حال وتأثر كبير بالمتصوفة الكبار ، فأنشأ مدرسة لتحفيظ القرآن التابعة لـ جامع ((كستانة بازاري)) وهي تعد مرحلة من عمله في أزمير^(٨).

جمع كولن بين الحركة والتأليف وركز على الأفراد وولادتهم ولادة جديدة نتيجة دعوته ولم يركز على واحد منهما فقط ، فتربو مؤلفاته على السنتين كتاباً ، ومن بين الكتب التي أخذ كولن بتأليفها والتي ترجمت للعربية هي ((أسئلة العصور المحيرة)) ، ((أركان الإسلام الخمسة)) ، ((الجهاد)) (طريق الإرشاد في الفكر والحياة)) ، ((أضواء قرآنية في سماء الوجدان)) ((حقيقة الخلق ونظرية التصور)) ، ((النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية)) ، ((نحن نقيم صرح الروح)) (تعليم العربية بطريقة حديثة)^(٩).

يتميز كولن كداعية بقدره خطابية عالية وهذا يتضح من خلال أول درس ديني له وهو في سن الرابعة عشر ، وعندما بلغ الثامنة عشر كان يجول في القرى التركية ويعطي دروس دينية في المساجد والمقاهي ، وقد ركز كولن منذ البداية على طلبة المدارس والجامعات ، إذ عمل الكثير في حركته كما ساهموا في الترويج لأفكاره ، وكانت موضوعات المواعظ الدينية التي يعطيها كولن تتحدث حول نظرية ((النشوء والارتقاء)) وحول أساليب التعليم الحديثة والعلوم والاقتصاد والعدالة الاجتماعية ، وخلال دروسه الدينية كان تلاميذه يطلقون عليه لقب ((خوجا أفندي)) أي الأستاذ المحترم^(١٠).

بدأ فتح الله كولن في الستينات يعمل شارحاً ومفسراً لرسائل النور ، التي أضافت بعداً يتوافق مع استعداداته وقابلياته ، وبعد أداء الخدمة العسكرية عاد في عام ١٩٦٦ إلى مدينة أزمير حيث عمل على تدريس القرآن الكريم في إحدى المراكز الدينية هناك ، ولكونه خطيباً مفهوماً ومؤثراً عمل واعظاً^(١١).

في عام ١٩٧٠ ابتعد كولن عن جماعة النورسيين واستقال من إدارة جمعيتهم المعروفة بـ ((يني أسيا)) أسيا الجديدة YENİ ASYA نسبة إلى مجلة كانت تصدرها ، والتي كانت مؤيدة لـ سليمان ديميريل^(١٢) ، وفي العام نفسه فتح إنقلابيو ١٢ آذار ١٩٧١ تحقيقاً مع فتح الله كولن بشأن نشاطات النورسيين في مدينة أزمير ونزعت منه صفة واعظ^(١٣) . وربما كان هو السبب الرئيس وراء استقالته من إدارة جمعية يني أسيا فعاد إلى أرضروم عام ١٩٧٢ متابعاً نشاطه وفي عام ١٩٧٣ عاد إلى أزمير وبدأ يعظ كل جمعة في جامع ((عين زاده)) وينظم خلايا جماعة النور^(١٤).

حاول فتح الله كولن الاستفادة من التطورات السياسية التي شهدتها تركيا في أعقاب انقلاب عام ١٩٧١ ورغم ملاحقته من العسكر إلا أنه خلال المدة المحصورة ١٩٧٤ ، ١٩٧٦ قام بتوسيع نشاطه الديني ، الاجتماعي من خلال إلقائه محاضرات على امتداد تركيا^(١٥) . وكان يُعبر عن آرائه عبر المحطة التلفزيونية ((صمانبولو)) مساء كل يوم خميس ويقدر عدد الذين يتابعون خطبه ويتأثرون بها نحو الأربعة ملايين^(١٦) . كما بدأت تنتشر على نطاق واسع شرائط الكاسيت التي تتضمن خطبه وعظاته التي أكسبته شهرة كبيرة في تركيا^(١٧).

تأثر كولن بالثورة الإسلامية في إيران^(١٨) ، ففي ١٩ نيسان عام ١٩٨٠ أنشأ ((حركة الخروج)) من مدينة أزمير ودعا فيه إلى تعميم طبع الكتب والمجلات على الطلاب والمعلمين بهدف الترويج لأفكار النورية^(١٩) ، إذ شكلت هذه المدة مرحلة ثانية في حياته وتطور أفكاره وتوسيع حركته إذ استمر على علاقته مع النورسيين رغم استقالته من إدارة جمعيتهم وأخذ بطبع الكتب والمجلات التي توزع في قطاع التعليم على المتعلمين والطلاب وكان يوقع على مقالاته في مجلة ((سيزينتي)) تحت اسم مفيد MFD التي بدأ بإصدارها عام ١٩٨٧ منبراً للترويج لأفكاره وآرائه الفلسفية والإيحائية وتوزع منها ما يقارب ٤٠٠ ألف نسخة^(٢٠).

في أعقاب انقلاب عام ١٩٨٠ أظهرت بعض التقارير بأنه مريض ، وكان يخفي من مكان إلى آخر ثم قدم استقالته من منصب الإفتاء الشرعي وصار يستخدم اسماً مستعاراً في كتاباته ((الضحاك)) وهو المعنى العربي لاسمه الحقيقي بالتركية ((كولن)) واستمر بالتخفي حتى عام ١٩٨٥ حيث ورد اسمه علناً في قائمة المطلوبين من جانب قيادة الجيش في بحر إيجة^(٢١).

حاول كولن توجيه نشاطه اجتماعياً بشكل علني ولكن عبر بعض الممارسات السرية مع بعض الأحزاب السياسية الإسلامية في تركيا ، إذ بدأت في هذه المدة ملامح نشوء علاقة بين فتح الله كولن وحزب التحرير إذ

شرع أحد أتباعه المدعو ((صبري قاضي أو غلو)) بتوزيع كتاب ((زعيم الحزب)) عبد القدوم زلوم والموسوم ((كيف هدمت الخلافة؟)) مجاناً على أتباعه النورسيين وجمعية ((ملي غوريش)) التابعة لحزب الرفاه RP ويذكر إن احد أعضاء ((حزب التحرير)) والمدعو محمد كروي والذي تلقى تعليمه في أزمير قد أجمع بناء على أوامر قيادة الحزب مع كولن دون أن ينتج عن ذلك الاجتماع أي نتيجة^(٢٢).

بعد تولي توركوت أروال زعيم حزب الوطن رئاسة الحكومة (١٩٨٣، ١٩٨٩) نجح كولن في ترتيب وضعه كمتلوب من جانب الجيش ، الأمر الذي سمح له بمعاودة نشاطه بصورة علنية بدءاً من عام ١٩٨٧ حيث عمل على التواصل مع حزب العمل القومي بزعامة ((الب ارسلان توركيش)) بهدف بث التربية الإسلامية للقوميين اليمينيين^(٢٣). وقد دعم كولن ائتلاف توركيش مع نجم الدين اربكان^(٢٤) ، في انتخاب عام ١٩٩١.

يتميز كولن بنظرته المنفرده إلى الدولة التي تخالف أبجديات رؤى الحركات الإسلامية في العالم حيث أن سائر الحركات الإسلامية تبنى إيديولوجيتها على عداء الدولة إلى وجوب تغيير نظامها ، وتوسيع دائرة انتمائها الجغرافي ليصل إلى كافة الدول المسلمة ، أما كولن فقد ابتعد كثيراً عن مفهوم الاتحاد الإسلامي ، ويمكن أن توصف مجموعة فتح الله كولن بأنها حركة مجتمع مدني وليست حركة سياسية فهو يسعى دائماً واليات دعوته بالدولة ومؤسساتها والى إكساب حركته صفة شرعية ، إذ يقول ((يجب أن تكون الأعمال التي ستقوم بها في نفس الخط ، مع خط المجتمع التركي وإدارته ، وخارجيته ومخابراته وماليته وإلا فلن تستطيع أن تفعل شيئاً))^(٢٥). وقوله أيضاً ((قد بدأ يحدث تغير في سياسة تركيا الداخلية والخارجية ، ولا يمكنك أن ترى دولتك عدواً لك فهذا خطأ فادح))^(٢٦).

إلا إن هذا لا يمنع من أن كولن يمارس السياسة من خارج المؤسسة السياسية المتمثلة بالحكومة والأحزاب أي من طريق اجتماعي ، إذ إن كولن كان متعاطفاً مع نجم الدين اربكان في السبعينات اخذ بعد انقلاب ١٩٨٠ يؤيد حزب الوطن بزعامة (طور غوت اوزال) وبقي مؤيداً لهذا الحزب إلى حين جنوح زعيمه الجديد (مسعود يلماز) أكثر صوب اليسار وإضعاف المحافظين داخله ، عندها بدأ كولن تقارباً في المواقف مع حزب الطريق المستقيم هو النزاع الأيمن لكولن خاصة بعد تولي تانسو شيلر رئاسة الحكومة عام ١٩٩٣ وقد حاولت تانسو في حينه من خلال كولن تشكيل جبهة إسلامية مضادة لاربكان^(٢٧).

برز فتح الله كولن إلى المواجهة عام ١٩٩٥ حين زاره تبعاً سفراء كل من الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا وألمانيا وروسيا الاتحادية مما أثار حوله جملة من التساؤلات كونه لا يمتلك صفة سياسية ، وقد تلقى كولن على أثرها من العام نفسه تهديداً بالقتل من جانب منظمة الشوق العظيم الإسلامي ، والجواب هو بسبب مواقفه المعتدلة من الدولة^(٢٨). ويتخذ كولن موقفاً متشدداً من الحركات الإسلامية العاملة في هذا المجال السياسي القائم على البراغمية وتوازن المصالح فيقول بهذا الصدد ((يمكن أن يختلف الناس في آرائهم ، ولكن بالنسبة لي تسييس الإسلام ، خيانة كبيرة لروح الإسلام))^(٢٩).

مما تقدم يمكن القول بأن كولن الذي اختار العمل السياسي خارج مؤسسات الدولة السياسية لا يخفي طموحاته السياسية حيث يوجه من حين إلى آخر ((رسائل)) في هذا الاتجاه أو ذلك ، ممثلثة بما يطمئن النظام ، وبالانتقاد لسلوكية نجم الدين اربكان وحزب الرفاه ، ومع إن الخلايا التي يعلن عن اكتشافها من وقت لآخر في صفوف الجيش ، ينتمي معظم أعضائها لتيار كولن ، إلا أن الشائع في الأوساط السياسية والفكرية إن كولن مهادن للدولة والنظام وحريص على عدم الاصطدام بهما^(٣٠).

وفي محاولة منه لإرضاء المؤسسة العسكرية فقد اتخذ موقفاً محايداً خلال الأزمة التي نشبت بين الجيش ونجم الدين اربكان في شباط عام ١٩٩٧^(٣١).

هذه الرؤية لدى كولن من الاعتدال تجاه المؤسسات العسكرية والمدنية العلمانييتين جعلته مستعد لتقديم تنازلات صغيرة من أجل ((الأهداف الكبرى)) فهو لا يلتقي مع التيارات الإسلامية السياسية في تركيا بل يسعى إلى تقديم تفسيراً اجتماعياً يتوافق مع تطلع هذه المؤسسات في ترسيخ الديمقراطية^(٣٢) ، هذه النظرة انعكست مرة عند سؤال تانسو شيلر رئيسة وزراء تركيا (١٩٩٣، ١٩٩٦). لكولن كما إذا ضد أتاتورك فأجابها ((لا نحن لسنا ضد أتاتورك))^(٣٣) ، ومما يعزز ذلك ميله إلى تأييد حزب الطريق الصحيح مما سهل انتشاره في قلب المدن العلمانية مثل اسطنبول وأزمير واد ابازاري وأفيون وإسبارطه^(٣٤).

كما سأل كولن عن موقفه ورأيه تجاه اربكان في أعقاب انقلاب عام ١٩٩٧ فيقول : ((إذا كان اربكان يقوم بعمل خير بالنسبة لكم ، فأظن إنني أقوم بعمل خير أكثر)) ويقول ((إنني أسعى لملا قلوب المجتمع التركي بالإيمان بالله ، ومعرفة الله ومحبة الله والذوق الروحاني))^(٣٥).

مكث كولن منذ صيف عام ١٩٩٧ في أمريكا للعلاج ، ومن الجدير بالذكر إن هناك شائعات تشير إلى إن جماعة كولن أيدت حزب العدالة والتنمية ، خصوصاً إن صحيفة ((زمان)) التابعة لـ كولن تعكس تأييداً لسياسات زعيم الحزب الحاكم (رجب طيب أردوغان) ويقال إن ٣٠ من مرشحي العدالة والتنمية ينتمون إلى جماعة كولن بينهم ابن خالة كولن ، كاظم عوجي المرشح عن ارمزوم شرق تركيا^(٣٦).

عولمة حركة كولن :-

يرى كولن عند الحديث عن العولمة فيقول ((إن ذلك لا يعني توحيد إيمان الأمم وفكرها وعاداتها وتقاليدها ومفاهيمها ، بل على العكس ، إن ذلك يعني أن يستطيع الأفراد حماية أنفسهم وأفكارهم وإيمانهم ، وان تتعاون الأمم في ظل السلام لا النزاع)) ، وهو يرى إن العولمة لا تعني محو الأفكار ((لا يمكن إلغاء الفوارق في المزاج والمذاق والخصائص بين الأفراد ، كما لا يمكن أبداً صهر النظرة إلى العالم والتصورات وأشكال الفكر والحياة))^(٣٧). لذا ((على الأمة أن تبحث عن موقعها في توازنات الدول - حالياً - وفي المستقبل ... وان الثقافة تتشكل في إيمان محدد ورؤية عالمية ومفهوم حياة ، ومن ديناميات الشخصية اللغوية والتاريخية .

وإذا كان من تأثير الفوارق العرقية ، بمقدار الفوارق الجغرافية والمناخية والطبيعية ، فمن الممكن الحديث دائماً عن خصوصية الأمة ... وان الدولة القومية لا يمكن أن تزول بالكامل ، وان النزاعات العرقية هي نوع من نتاج الشعور بعدم الذوبان أمام القوى العظمى^(٣٨).

وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى إن ((فتح الله كولن)) ، يولي أهمية لدور الأمة في رسم الخيارات وتنفيذها ، وفي تلك تلافياً للعثرات والأخطاء وبالتالي يجب التعامل مع الغرب بطريقة مختلفة تجعلنا نواجه العصر ونحقق التقدم ونرفع من مستوانا.

أما موقف فتح الله كولن من سعي تركيا للدخول للاتحاد الأوروبي وهو موقف يعارض وجهات نظر الحركات الإسلامية الأخرى فيقول ((كان لدي بعض القلق ، قبل مرحلة الاتحاد الكمبركي عندما كان دخول المجتمع الأوروبي هو موضوع الحديث لان الخبراء الاقتصاديين و الاكاديميين آنذاك كانوا يعتقدون أن المجتمع التركي غير مؤهل لذلك ... ، ولعل مرد ذلك الخوف كان الانصهار لأنه كانت آنذاك أزمة شديدة إلا أنه يوماً بعد يوم ثمة تغير دائم وسريع ، فالمجتمع التركي بدأ يتجه نحو جذوره الروحية ، سواء داخل أو خارج تركيا وفي وقف كهذا ليس ثمة حرج في أن يتخذ الإنسان التركي مع الغرب ويدخل معه في تكامل ، وأنا مقتنع إن تركيا بعقلها ومنطقها لن تخسر شيئاً في أمر كهذا))^(٣٩).

ويعتقد كولن إن هناك خصوصية للإسلام التركي ن فيرى إن إسلام الأتراك هو مزيج بين الإسلام وبين القومية التركية ، وان الأصل ليس ممارسة شعائر الدين ، بل التصرف في الحياة اليومية ، وفقاً للقيم والمبادئ التي قدمها الإسلام للبشرية ، ويبدو إن كولن لا يحمل توجهات معارضة للعلمانيين في تركيا ، ويرى إن الحفاظ على هذا يحفظ لتركيا ارثها العثماني الذي تميز بالتنوع العرقي والديني واللغوي^(٤٠).

ويؤخذ على كولن موقفه من قضية الحجاب الذي يوصف ((بالمشيين)) ويتضح ذلك من إجابته على سؤال حول أهمية الحجاب ، فيقول ذكر الحجاب في القرآن ، ولكن لم يوضح فيه كلفيته ولا شكله ، والتوقف حول شكله يضيق أفق الإسلام الواسع ...

حتى إن ذلك خطأ يحول دين الإسلام إلى دين لباس وهذا خطأ . إن أحكام الدين الإسلامي ، تنقسم إلى أصول وفروع ، والحجاب ليس من الأصول أي ليس من الإيمان وكذلك ليس من أسس الإسلام ولا شروطه فتمسك الإنسان بما هو خارج الدين ، مخالف لروح الدين))^(٤١).

المؤسسات التي تنتشر من خلالها أفكار كولن :-

اختار فتح الله كولن طريقاً اجتماعياً عبر الإرشاد والتبليغ والتعليم والتربية والمؤسسات الاجتماعية التربوية ، والمالية والإسكانية والصحية والإعلامية والثقافية^(٤٣) .
 رغم النفوذ الاجتماعي والإعلامي والاقتصادي الكبير لـ ((فتح الله كولن)) إلا إن أتباعه يرفضون وصفهم بجماعة أو ((مجموعة)) ، وبغض النظر عن مدى رقة هذه التسميات وأخرى غيرها ، إلا أنها شائعة وتكرر في وسائل الإعلام التركية^(٤٣) .
 وبشكل عام فإن جماعة ((فتح الله كولن)) ليست حزباً أو تنظيمًا له هيكلية بل أن أعضائها هم أشبه بـ(تيار) أو (حالة) يلتفون حول ((الخوجا أفندي)) لكن يمكن القول أن يوجد ما يشبه التجمع والتكتل الذي يضم عدداً كبيراً من رجال الأعمال وبعض المفكرين الذين يشكلون بواسطة شركات ومؤسسات شبكة هائلة من دور النشر والمدارس والجامعات والاستثمارات والمراكز الثقافية داخل تركيا وخارجها^(٤٤) . كما موضح في الجدول رقم(١).

الجدول يوضح المؤسسات التعليمية وامتداداتها خارج تركيا(٤٥)

الدولة	نوع المؤسسة التعليمية
أفغانستان	٥٣ ثانوية
أذربيجان	٩ ثانويات ، مدرسة ابتدائية ، جامعة
نخجوان	٣ ثانويات
كازاخستان	٢٦ ثانوية ، معهد ، مدرسة ابتدائية
قيرغيزيا	١١ ثانوية
أوزبكستان	١٦ ثانوية ، مركز لغة ، مدرسة دولية
تركمانستان	١٣ ثانوية ، جامعة ، مركز لغة
روسيا	٣ ثانوية ، معهد ، مركز لغة
سيبيريا الشرقية	٤ ثانويات
داغستان	ثانويتان ، معهد ، مكتبتان جامعتان
تشواشستان	ثانويتان
ياس كوردستان	٣ ثانويات
تتارستان	٦ ثانويات
منغوليا	٣ ثانويات ، معهد فني عالي
بنغلاديش	معهد
باكتل	مدرستان ابتدائيتان ، معهد ، ثانوية ، مدينتان للسكن الجامعي
شمال العراق	٣ ثانويات ، معهد جامعي ((أربيل))
جورجيا	مدرسة ابتدائية ، ثانوية ، جامعة ، معهد
مقدونيا	معهد
مولدافيا	ثانوية
البانيا	معهدان ، ثانوية ، مدرسة ابتدائية ، مركز دورات مختلفة
ألمانيا	مركز لغة ، مدرسة ابتدائية ، مركز دورات مختلفة
بوسنه – هيرسك	٣ ثانويات
تايلند	ثانوية
كمبوديا	ثانوية

معهد كومبيوتر	جنوب إفريقيا
ثانوية	اندونيسيا
ثانوية	الفلبين
مركز لغة	كوريا الجنوبية
مركز دورات مختلفة	فيتنام
مركز كومبيوتر	الهند
مركز لغة	انكلترا
ثانوية	أوكرانيا
ثانوية	القرم
٣ معاهد إمام ، خطيب معهد إسلامي	بلغاريا
ثانويتان ، مدرسة ابتدائية	رومانيا
مركز لغة	المجر
ثانوية	المغرب
مركز لغة	السودان
مركز دورات مختلفة	بورما
ثانويتان ، مركز ترشيد	الصين
ثانوية	الدنمارك

الجدول معتمد على معلومات أوردها محمد نور الدين في كتابه حجاب وحراب ، المصدر السابق ص ٢٤٦، ٢٤٨.

يتضح من الجدول إن عدد المدارس بمراحلها المختلفة والجامعات خارج تركيا تقارب الـ (٢٠٠) مدرسة في (٥٤) دولة ، ويخطط لرفعها إلى ٥٠٠ مدرسة ويعمل فيها نحو (٤٠٠٠) معلم يتراوح أجر الواحد منهم بين (٣٩٩، ٤٠٠) دولار ، فيما ينال مسؤول المدرسة بين (٣٥٠، ٧٠٠) دولار ومتوسط مصروف كل مدرسة (٢٠، ٣٠) ألف دولار ويدرس في هذه المدارس نحو (٥٠) طالب في المدرسة الواحدة يفترض أن يدفع الواحد منهم بين (٥٠، ٧٠) دولار لكن غالباً ما يكتفي بمبلغ (٢٥، ٤٠) دولار . ويتخرج كل سنة من هذه المدارس نحو (٥٠٠٠) طالب ، ويقارب إجمالي الإنفاق على مدارس ومعاهده وجامعاته حوالي (مليار و ٢٠٠ مليون دولار سنوياً)^(٤٦).

انتشرت داخل تركيا شبكة مدارس حتى بلغت (٣٠) مدرسة فضلاً عن جامعات (الفتاح وعشق) في اسطنبول. تتوزع نشاطات (كولن) ضمن مؤسساته الإعلامية والوقفية وأبرزها وقف الصحفيين والكتاب تأسس عام ١٩٩٤ وتتوزع نشاطاته الإعلامية على صحف مثل زمان اليومية ومجلتي (اكسيون) و (سيزينتي) وكان فتح الله قد اتخذ منها منبراً لإطلاق آرائه الإيمانية والفلسفية منذ عام ١٩٧٨^(٤٧) ، وتصدر الجماعة مجلة بعنوان (yeni umit) أي الأمل الجديد ، ومجلة ايكولوجي ومجلة فونتين وللجماعة دور نشر وعدد من المطابع وكما قال كولن ((لنا العديد من المصادر فان الإسلاميين يسيطرون على ما يقرب من حوالي ثلث الصحافة الكلية في تركيا ولكنها لم تصل بعد إلى النصف))^(٤٨).

والأكثر من ذلك فقد بدأت نشاطاته تأخذ طابعاً اقتصادياً عندما نجح في منتصف الثمانينات من القرن العشرين وبالتعاون مع ممولين سعوديين تأسس ((شركة الراجحي للصيرفة)) مما يعنى توسيع نفوذه ليس داخل تركيا فحسب وإنما امتد حتى نحو الخارج^(٤٩).

الأسس الفكرية لدى فتح الله كولن :-

تكونت أفكار كولن من خلال ما أطلق عليه ، الأهداف الكبرى وهو يقول ((لا أستطيع القول إنني اعرف أعماق قلبي وروحي لكن بقدر ما أعرف العالم الداخلي الذي تكمن فيه نيّتي فأني لا أحمل أي غاية خارج أن أكون عبداً بسيطاً لمرضاة الله)) عملاً بالحديث الشريف : ((خيركم أنفعكم للناس ، وبالتالي أن أكون واحداً من الناس العاملين للناس))^(٥٠).

أما المصدر الآخر لتكوين أفكار ((فتح الله كولن)) يتضح من خلال تأثره بأفكار (سعيد النورسي) ، عندما يشبه حالة النبي إبراهيم (عليه السلام) بقول بديع الزمان :- ((ليس في عيني عشق الجنة ولا خشية جهنم ، فان رأيت السلامة في إيمان أمتي ، فأنا أرضى أن احترق في لهيب جهنم ، لان جسمي إذ يحترق ، يكون قلبي حديقة ورد))^(٥١).

يغرق فتح الله كولن عميقاً في تجربة الأنبياء والمفكرين الإسلاميين عندما يرى أن التواصل مع الأمة يكون باستخدام أدوات المدينة الحديثة ، وهي أساس نجاح هذا التواصل ، ومن هنا افتراقه عن الطرق الدينية الصوفية ، وتركيزه على العلم والعقل في الإسلام ويتخذ كولن من سعيد النورسي مصباح هداية على هذا الطريق حيث يقول النورسي ((العقل والعلم سيسودان في المستقبل ، وبناء على ذلك ، فان القرآن سيسود أيضاً لأنه يخضع كل المسائل للعلم والعقل))^(٥٢).

ونتيجة لذلك يأتي تصنيف كولن لأعداء الأمة الإسلامية بثلاثة ، الجهل والفقر ، والانقسام ، وبالتالي فان أسلحة مواجهتها هي ثلاثة ، العلم ، السعي ، الاتحاد^(٥٣).

يجمع كولن بين العلم والتربية وبين الحقيقة والمعرفة التي تؤلف (قصر السعادة) ، المقبل وهو جمع يلتقي عند توازن حساس بين الإيمان والعلوم وفي اتحاد الاثنين تتجلى الحقيقة ، وعلى هذا فان منشأ التعصب والتقليد افتقاد العلوم ، فيما منشئه الشبهة والإنكار افتقاد الدين ، لذا يطرح كولن علاجاً لـ ((هموم الأمة)) بقوله : ((ليس العلاج كما في الغرب في الفكر والعقل فحسب ، وليس كما في الشرق في القلب والروح فحسب بل هو في التربية المتكئة على التنوير العقلي – الفكري – الروحي – القلب ، وفي العمل المتكئ على البذل وفي الاتحاد بدلاً من التفرقة))^(٥٤).

التخوفات من حركة كولن :-

في آذار عام ١٩٩٩ سافر فتح الله كولن إلى الولايات المتحدة بشكل مفاجئ وبعد ذلك بثت إحدى محطات التلفاز التركي خطبة مصورة سرياً يطالب فيها كولن أتباعه بالعمل في صبر ، والتسلل إلى مؤسسات الدولة للاستيلاء على الحكم^(٥٥) . مما حدا بالمدعي العام المطالبة بسجن كولن عشر سنوات بتهمة تكوين منظمة تعمل على إطاحة الحكومة العلمانية ، وبناء دولة تقوم على أسس ثيوقراطية ، وقد وصف كولن تلك التسجيلات بالمفتعلة ورأى أتباعه أنها حملة تشويهية^(٥٦).

وفي تموز عام ٢٠٠٨ تمت تيرنته من كل التهم التي وجهت إليه ، ومع ذلك فهو لا يزال يقيم في منفاه بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة (لأسباب صحية) على حد قوله ، كما يؤكد أصدقاؤه عدم معرفتهم بموعد عودته ((المعلم))^(٥٧).

يذكر أنه بعد الاتهامات التي وجهت إلى كولن وحركته من قبل المدعي العام تدخل رئيس الوزراء التركي آنذاك بولند أجاويد^(٥٨) ، الذي تربطه علاقات جيدة بفتح الله كولن ، داعياً الدولة إلى معالجة الأمر بهدوء ، بدلاً من فتح الموضوع للنقاش على المحطات التلفزيونية التركية ، كما دافع عن كولن وعن مؤسساته التعليمية ، قائلاً : ((مدارسه تنشر الثقافة التركية حول العالم ، وتعرف تركيا بالعالم ، مدارسها تخضع لإشراف متواصل من السلطات))^(٥٩).

بعد ذلك اعتذر كولن عن تصريحاته ، إلا إن بعض العلمانيين ظلوا متشككين في أهدافه ، ولاحقاً وجهت له اتهامات بمحاولة تحقيق مكاسب سياسية على حساب مؤسسات الدولة بما في ذلك الجيش ، كما أدى نشاط حركة كولن وتمدها في دول آسيا الإسلامية (الاتحاد السوفيتي سابقاً) إلى أزمة دبلوماسية بين تركيا وأوزبكستان دفعت بولنت أجاويد للتدخل مرة أخرى في محاولة لحلها . وقال أجاويد بهذا الصدد ((الرئيس الأوزبكستاني لديه مخاوف غير مبررة تتعلق بتركيا ، تركيا لا تتدخل في الشؤون الداخلية لأوزبكستان ، لا يمكن أن نسمح بالإساءة إلى العلاقات بين البلدين بسبب مخاوف غير ضرورية))^(٦٠) . لكن أوزبكستان قررت إغلاق عدد من المدارس التابعة لكولن ، ويبدو من خلال هذه المدة كانت المؤسسة العلمانية في تركيا بدأت تشعر بالخطر إزاء كولن ومؤسساته التعليمية ، فأصدرت هيئة التعليم العالي في تركيا قراراً يقضي بعدم الاعتراف بالشهادات العلمية التي تعطيها مدارس كولن ، لكن هذا القرار كان مؤقتاً ، ونجحت حركة ومؤسسات كولن في التغلب عليها وعودة الاعتراف بها^(٦١).

ليس العلمانيين وحدهم من يخافون كولن ، ولكن بعض الإسلاميين وبخاصة أتباع نجم الدين اربكان ، ولذلك لقوة حركته ومن علاقاتها في الداخل والخارج ، وهو ما عبرت عنه ((اوبا اكونينش)) إحدى القيادات البارزة في حزب السعادة الإسلامي حيث تقول ((لا أحد يعرف على وجه الدقة علاقات حركة كولن داخل تركيا ، هناك الكثير من وسائل الإعلام ورجال الأعمال يعملون معها أو أنصار لها ، أو متعاطفون معها لكن هذا ليس شيئاً واضحاً ، وهذه مشكلة))^(٦٢).

الخاتمة

يعد فتح الله كولن إحدى الشخصيات القليلة التي تختلف في تصوراتها وأهدافها بشكل كبير عن الحركات الإسلامية المعاصرة في تركيا والتي استطاعت بحكمة ودهاء نشر دعوته الإسلامية دون إثارة المؤسسة السياسية المتمثلة بالحكومة والأحزاب ، حامية العلمانية ، وتمثل مجموعة فتح الله كولن وزناً معتبراً في السياسة التركية بالنسبة لأحزاب اليمين خاصة وهذا ما يفسر حرص قادة العديد من الأحزاب السياسية على وجود علاقة خاصة معها ، كما استطاع كولن تأييد شخصيات بارزة في الساحة التركية كان من أبرزها طورغون اوزال (١٩٨٩ ، ١٩٩٣) وزعيمة حزب الطريق المستقيم تانسو شيلر.

استطاع فتح الله كولن من خلال رسائل النور والعلوم الوضعية من تكوين حركة شبه عالمية الآن ، حركة تمتلك مئات المدارس في تركيا ومئات المدارس الدينية خارج تركيا ، بدءاً من جمهوريات آسيا الوسطى وروسيا وحتى المغرب وكينيا وأوغندا مروراً بالبلقان والقوقاز ، كما استطاع كولن من كسب العديد من الإتياع كان من بينهم رجال أعمال أترك وتجار وصحفيين ، استطاع من خلالهم تأسيس شركات خاصة وأعمال تجارية ومؤسسات خيرية ، وقد وصفت جماعة كولن بأنها تعبير عن ((الإسلام الاجتماعي)) الذي يهتم بشكل أساسي بالتواجد في مجالات التعليم والتربية والإعلام والاقتصاد .

قائمة الهوامش والمصادر

١. محمد نور الدين ، تركيا الجمهورية الحائرة مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية ، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ، بيروت - ١٩٩٨ ، ط ١ ، ص ١٨٠ .
٢. طريقة صوفية أسسها الحاج بكتاش احد تلاميذ بابا اسحق الذي قاد تمرد ضد الدولة العثمانية عام ١٢٤١م ، وقد نشطت هذه الحركة خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر وهي عبارة عن شعائر وطقوس دينية تمارس من قبل جماعة الطرق الصوفية للمزيد ينظر : خليل اينالجيك : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ترجمة محمد م. الارناؤوط ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٩٢ ، ٣٠٤ .
٣. محمد نور الدين ، تركيا الجمهورية الحائرة ... ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ .
٤. المصدر نفسه ، ص ١٨٠ .
٥. سعيد النورسي : هو مؤسس الحركة النورية في تركيا ولد من أبوين كرديين في قرية نورس التابعة لقضاء خيزان من ولاية بدليس القريبة من مدينة وان عام ١٨٧٣ وقد اتجه منذ مطلع حياته إلى طلب العلم متأثراً بتوجهات أخيه الأكبر (الملا عبد الله) الدينية فراح يدرس في الكتاتيب والمدارس الدينية المنتشرة في قريته وقد عرف منذ ذلك الوقت بـ(الملا سعيد) وهو مؤسس أصحاب النور ، للمزيد ينظر :- نجم الدين شاهين ، ذكريات عن النورسي - ترجمة عن التركية أسيد إحسان قاسم الصالحي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٢٣ ؛
٦. مجموعة من الباحثين ، عودة العثمانيين الإسلامية التركية ، مركز المسبار للدراسات والبحوث ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط ٢ ، ٢٠١١ ، ص ٢٠٠ .
٧. المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .
٨. مجموعة من الباحثين ، عودة العثمانيين الإسلامية التركية ، المصدر السابق ، ٢٠١١ .
٩. عبد الحليم عويس ، الأستاذ فتح الله كولن وإنشاء حدائق الإبداع الحضاري ، مجلة حراء (صوت حركة كولن بالعربية) ، العدد ١٦ ، تموز ، ٢٠٠٩ .
١٠. مجموعة باحثين ، عودة العثمانيين الإسلامية التركية ، المصدر السابق ، ٢٠٣ .

١١. محمد نور الدين ، حجاب وحراب الكمالية وأزمات الهوية في تركيا ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص ٢٤٤ .
١٢. ولد سليمان ديميريل عام ١٩٢٤ في قرية إسلام كوي بمحافظة اسبرطة الواقعة في جنوب غربي تركيا ، نال عام ١٩٤٩ البكالوريوس في الهندسة الهيدروليكية من جامعة اسطنبول التقنية ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإكمال دراسته وأثناء عودته إلى بلاده عام ١٩٥١ عينه رئيس الوزراء آنذاك عدنان مندريس مديراً عاماً لهيئة أشغال الدولة المائية وبقي فيه حتى انقلاب ١٩٦٠ ، ثم تولى رئاسة الحكومة كزعيم لحزب العدالة ست مرات منذ منتصف الستينات وحتى انقلاب ١٩٨٠ ينظر :- جلال عبد الله معوض : صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، ص ٣١ ، ص ٤٠ .
١٣. محمد نور الدين ، حجاب وحراب ... ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .
١٤. المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ .
١٥. المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ .
١٦. مجلة نقطة التركية (باللغة التركية) الصادرة بتاريخ ١٩ ، ١٩٩٣/١٢/٢٥ ، ص ٢٦ .
١٧. الثورة الإسلامية في إيران هي ثورة نشبت عام ١٩٧٩ وحولت إيران من نظام ملكي تحت حكم الشاه محمد رضا بهلوي لتصبح جمهورية إسلامية ، قادها آية الله أو الإمام روح الله الخميني ويعد مؤسس الجمهورية الإسلامية ، ينظر :- آمال السبكي ، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين ١٩٠٦ ، ١٩٧٩ ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٩ ، ص ١٩٣ .
١٨. المصدر نفسه ، ص ١٩٣ .
١٩. محمد نور الدين ، تركيا الجمهورية الحائرة ... ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ .
٢٠. المصدر نفسه ، ص ١٨١ .
٢١. كريم محمد حمزة ، دهام محمود علي الجبوري ، القوى الفاعلة في المجتمع التركي ، بغداد ، بيت الحكمة ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص ٦٦ .
٢٢. المصدر نفسه ، ص ٦٧ .
٢٣. محمد نور الدين ، حجاب وحراب ... ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .
٢٤. ولد نجم الدين اربكان في مدينة سنوب ١٩٢٣ وتخرج من كلية الهندسة الكيماوية في جامعة اسطنبول عام ١٩٤٨ حصل على درجة الدكتوراه في ألمانيا الغربية ، دخل المعتزك السياسي عبر مشاركته في الانتخابات التشريعية عام ١٩٦٩ بوصفه نائباً مستقلاً عن مدينة قونيا أسس عام ١٩٧٠ حزب النظام الوطني ثم حزب السلامة الوطني ، كما أسس عام ١٩٨٣ حزبه الجديد حزب الرفاه الإسلامي وقد شارك في مختلف الائتلافات الوزارية ، ينظر :
- Turkey Alamanic , Turkish daily News , Inkara, 1979 , PP.13 ,14.
٢٥. محمد نور الدين ، حجاب وحراب ... ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .
٢٦. المصدر نفسه ، ص ٢٤٥ .
٢٧. محمد نور الدين ، تركيا الجمهورية الحائرة ... ، المصدر السابق ، ص ١٨١ .
٢٨. محمد نور الدين ، حجاب وحراب ... ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .
٢٩. محمد نور الدين ، تركيا الجمهورية الحائرة ... ، المصدر السابق ، ص ١٨١ .
٣٠. المصدر نفسه ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .
٣١. للمزيد من المعلومات حول الأزمة وبيان شباط ١٩٩٧ ينظر :- محمد نور الدين ، تركيا في الزمن المتحول قلق الهوية وصراع الخيارات ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ص ٦٥ ، ٨٠ .
٣٢. محمد نور الدين ، حجاب وحراب ... ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .
٣٣. صحيفة ميلليت التركية (باللغة التركية) الصادر بتاريخ ١٩٦٦/١٢/٣ .

٣٤. محمد نور الدين ، حجاب وحراب... ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .
٣٥. محمد نور الدين ، تركيا الجمهورية الحائرة ... ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .
٣٦. المصدر نفسه ، ص ١٨٥ .
٣٧. المصدر نفسه ، ص ١٨٥ .
٣٨. المصدر نفسه ، ص ١٨٣ .
٣٩. المصدر نفسه ، ص ٢٠٨ .
٤٠. مجموعة باحثين ، عودة العثمانيين الإسلامية التركية ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .
٤١. المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ .
٤٢. محمد نور الدين ، حجاب وحراب... ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .
٤٣. محمد نور الدين ، تركيا الجمهورية الحائرة ... ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ .
٤٤. وليد رضوان ، تركيا بين العلمانية والإسلام في القرن العشرين ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٩٠ .
٤٥. الجدول معتمد على معلومات أوردها محمد نور الدين في كتاب حجاب وحراب ... ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٨ .
٤٦. المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ .
٤٧. كمال حبيب ، الدين والدولة في تركيا المعاصرة صراع الإسلام والعلمانية ، مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، ٢٠١٠ ، ط ١ ، ص ٨١ .
٤٨. المصدر نفسه ، ص ٨١ .
٤٩. المصدر نفسه ، ص ٨٢ .
٥٠. محمد نور الدين ، تركيا الجمهورية الحائرة ... ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ .
٥١. المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .
٥٢. المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .
٥٣. المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .
٥٤. المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .
٥٥. مجموعة باحثين ، عودة العثمانيين الإسلامية التركية ، المصدر السابق ، ص ٢١٩ .
٥٦. المصدر نفسه - ص ٢٢٠ .
٥٧. المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ .
٥٨. دخلت بولند أجاويد معتزك السياسة عام ١٩٥٧ نائباً عن حزب الشعب الجمهوري الذي كان يترأسه عصمت اينونو منذ وفاة أتاتورك عام ١٩٣٨ ، أصبح عام ١٩٦٥ أميناً عاماً لحزب الشعب ، احتج على دعم اينونو لحكومة انقلاب ١٢ آذار ١٩٧٢ ، أسس عام ١٩٨٥ حزب اليسار الديمقراطي ، أصبح عام ١٩٩٨ رئيساً للحكومة التركية ، توفي في ٥ تشرين الثاني ٢٠٠٦
- ينظر :- يوسف إبراهيم الجهماني ، أتاتورية القرن العشرين ، ملفات تركية ، دار حوران للطباعة والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٠ ، ط ١ ، ص ٤١ .
٥٩. مجموعة باحثين ، عودة العثمانيين الإسلامية التركية ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .
٦٠. المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .
٦١. المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .
٦٢. المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .